

بنات النبي أم ربابه!؟

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الثالثة
نسخة مزيده ومنقحه
٢٠٠٢م. - ١٤٢٣ هـ.ق

المركز الإسلامي للدراسات

بنات النبي أم ربائبه!؟

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه
وأشرف بريّته محمد وآله الطيبين الطاهرين.. واللعنة على أعدائهم
أجمعين إلى قيام يوم الدين..

مقدمة لا بد منها:

هناك أمور قلما يطرحها الباحثون على بساط البحث، وقلما
تتعرض للتحقيق، والتمحيص، فما هو السر في ذلك؟ وما هو السبب
يا ترى؟!

ربما نجد أكثر من تفسير لهذه الظاهرة وقد يستهويننا أو نقل:
يرضيها أحدها، ويرضي غيرنا التفسير الآخر. ثم يرضي آخرين،
تفسير ثالث لها.

ولكن يجب أن لا نعجب إذا وجدنا - أحياناً -: أن الحق الذي لا
محيص عن هو صحة الأسباب والعلل المطروحة جميعاً دون
استثناء، ولكن ذلك يكون بحسب اختلاف المواقع والمواضع، وبحسب
رؤية الأهداف، والاستجابة لما تخالف واختلف من الدوافع.

ولكي نقرب قليلاً من الإجابة المطلوبة، نقول:

إنه ربما يكون ذلك من أجل أن بعض الباحثين لم ير في طرح
تلك الأمور فائدة أو عائدة، بل رأى أنها أمورٌ جانبية وجزئية ليس لها

كبير أثر على الصعيد الواقعي والعلمي.

وقد يكون السبب في ذلك هو: أنهم قد تعاملوا معها من موقع الغفلة عن نقاط الضعف أو القوة فيها، فأخرجوها بذلك عن أن تقع في دائرة اهتماماتهم في الشأن العلمي، لا اعتقادهم: أنها من المسلمات، أو من الأمور التي تستعصي على البحث، لعدم توفر المعطيات الكافية لإثارته ومعاناته، بصورة كافية ووافية.

وثمة سبب آخر، وهو الأكثر معروفة وشيوعاً، وهو اعتقاد: أن إثارة بعض الموضوعات من شأنه أن يخل بالوضع العام، حينما يكون سبباً في إحداث قروح عميقة ومؤلمة في جسم الأمة، ويزرع فيها بذور الحقد والشقاق، ويتسبب في خلخلة العلاقات، ثم في تباين المواقف.

وثمة سبب آخر، له أيضاً حظ من التواجد على نطاق واسع أيضاً، ولكنه لا يفصح عنه إلا الأقلون، وهو أن بعض الباحثين لا يرى في هذه الموضوعات ما يثير فيه شهيته، ولا يجلب له من المنافع ما يسهل عليه معاناة البحث، وتحمل مشاقه، بل هو يجد فيها نفسه في مواجهة هجمة شرسة، من قبل فئات حاكمة وشريرة، وقاسية لن يذوق في حياته معها طعم الراحة بعد أن أقدم على ما أقدم عليه.

بل إنها لن تتركه يسلم بجلده دون عقاب، أدناه التشهير والتجريح والشنآن، إن لم يكن التكفير ثم الاضطهاد، والأذى، والحرمان.

ولكنني بدوري أستطيع أن أقول: إن إثارة وطرح أمثال هذه

الموضوعات على اختلافها على بساط البحث هو الأولى والأجدى، حتى ولو فرضها البعض من الأمور الجزئية والجانبية، أذ أن جزئيتها لا تقلل من حساسيتها وأهميتها، لا سيما إذا كانت جزءاً من التكوين الفكري، أو تُسهم في وضوح الرؤية العامة التي يفترض فيها أن تركز على جزئيات منتشرة ومبثوثة في مختلف المواقع والمواضع: أو أنها «على الأقل» تفتقر إلى تلك الجزئيات لتصبح أكثر وضوحاً، وأوفى تعبيراً وحكاية عما يراد لها أن تعبر أو أن تحكي عنه.

ومن جهة ثانية، فإن الاهتمام بالمصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة، وعلى حساب العلم والفكر، والدين، لهو من الأمور التي نربأ بالباحث الواعي، والرسالي الذي نذر نفسه لخدمة الدين والأمة، أن يجعل لها محلاً في تفكيره، وأن يفسح لها المجال للتأثير عليه في حركته نحو أهدافه الإنسانية السامية.

وهذا بالذات هو ما يبرر لنا رفض أن يكون نأيه بنفسه عن بعض الموضوعات، بدافع الجبن والخوف من حدوث السلبات عليه هو شخصياً.

أما الموازنة بين السلبات التي سوف يتركها طرح الموضوع على السلامة العامة، وعلى بنية الأمة ككل، فإنها تصبح ضرورية من أجل تحديد الطرف الأهم في مقابل المهم، وهو ما يختلف باختلاف الظروف والأحوال.. وعلى وفق ما ينتهي إليه من نتائج في

هذا المجال، يكون التحرك، ثم يكون تسجيل الموقف.

ولكن من الواضح: أن من الضروري تخصيص قسط من الجهد الفكري والعملية باتجاه إيجاد الأجواء والمناخات المناسبة، لطرح ومعالجة أكثر الموضوعات حساسية، لأن ذلك هو الخيار الوحيد للأمة التي تريد أن تكون أمة واحدة، تنقي ربها، وتعبد وحده لا شريك له، ولا تعبد أهواءها، ولا مصالحها، ولا أي شيء آخر إلا الله سبحانه وتعالى.

وفقنا الله للعلم، وللعمل الصالح. وهدانا إلى صراطه المستقيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

٢٠ رجب ١٤١٣ هـ.ق - قم المشرفة

جعفر مرتضى العاملي

الفصل الأول

رأي المفيد في زوجتي عثمان



شهرة الحدث قد تخدع:

إن من الأمور الواضحة والبديهية: أن كثيراً من حقائق التاريخ قد تعرضت لأنواع من التحريف والتزييف، لأهداف مختلفة: من سياسية، ومذهبية، وفئوية، وغيرها.

وواضح: أن تحقيق كل ما يحتاج إلى التحقيق منها أمر يخرج عن حدود طاقة الفرد والأفراد، وحتى عن حدود طاقة المئات والألوف منهم، فلا يمكن أن نتوقع ذلك من أي عالم، مهما بلغ من العلم، والمعرفة، وقوة الفكر، ودقة الملاحظة، وجودة الفهم. خصوصاً إذا كان الموضوع الذي هو محط النظر خارجاً عن دائرة اختصاصه، ولا يدخل في دائرة الأولويات في ما هو محط اهتماماته ومعالجاته.

وعلى هذا الأساس: نستطيع أن نتفهم بعمق ما نجده لدى بعض العلماء من انسياق أحياناً مع ما شاع واشتهر، وإن كان خطأ، فيرسلونه إرسال المسلمات، اعتماداً منهم على ذبوعه وشهرته، إما غفلة عن حقيقة الحال، أو للإرتكاز الحاصل لديهم، من استبعاد أن يكون الواقع يخالف ما هو معروف ومشهور أو يختلف معه. وذلك لا يחדش في عالمية ذلك العالم، ولا يقلل من أهمية الدور الذي قام به، ولا من قيمة النتائج العلمي الذي قدمه للأجيال وللأمة.

أما إذا كان الخطأ الفاحش، أو غيره قد وقع منه فيما يفترض أنه خبير وبصير فيه، فإن المؤاخذه له حينئذ تكون مقبولة ومعقولة، ولها ما يبررها. ثم هي تكون - والحالة هذه - مؤثرة ومفيدة في تلمس الموقع الحقيقي والمناسب لشخصيته العلمية والفكرية في مجال التقييم والتقويم، كتأثيرها في إعطاء الانطباع المقبول والمشروع عن القيمة الحقيقية لما قدمه من نتاج، لا سيما في مجال اختصاصه، وبصورة أدق وأوفى.

نقول هذا مع الالتفات إلى أن إصابة الواقع في كل كبيرة وصغيرة أمر يكاد يلحق بالمتنوعات إلا لمن أوقفه الله تعالى على غيبه. وليس ذلك إلا من ارتضى سبحانه من رسول، ثم من أثرهم الرسول بما علمه الله إياه، من الأئمة الأوصياء، والصفوة النجباء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بين خطأ الرأي، والرأي الخطأ:

ولا شك في أن الشيخ المفيد قد كان واحداً من تلك القمم العلمية الشامخة، التي ربما لم يبلغها على مدى التاريخ إلا أقل القليل، من الذين ربما لا يزيد عددهم على عدد أصابع اليد الواحدة.

غير أن تبخره في العلم لا ينسحب على جميع العلوم، فلا يشمل علم الجيولوجيا مثلاً. بل إنما هو في نطاق ما يدخل في دائرة اختصاصاته، واهتماماته، وما تصدى له بصورة جدية وأساسية، من علوم إسلامية كانت متداولة في عصره.

ولكننا وفقاً للحقيقة التي أشرنا إليها فيما سبق، ولأن الشيخ المفيد لم يكن واجب العصمة، فلا مانع من أن نتوقع أن نجد في طيات كلامه حتى في العلوم الإسلامية بعض المسائل التي ربما يخالفه الرأي فيها، إذا كان قد أرسلها إرسال المسلمات، اعتماداً منه على ذبوعها وشهرتها، أو ثقة منه واعتماداً على من لم يكن أهلاً للثقة، ولا محلاً للاعتماد.

ولكن ذلك لا يقلل من قيمة نتاجه العلمي، ولا ينقص من مقامه السامي، ولا يؤثر على حقيقة كونه من الراسخين في ما تصدى له من علوم.

على أننا لا نملك الدليل القاطع على أنه قد أخطأ الصواب، حتى في الموارد التي هي من الأخطاء الشائعة، إذا كان من الممكن أن يكون قد ساق الكلام فيها على سبيل التسليم الفرضي، والمجاراة في البحث، لا من منطلق القناعة، والقبول بمضمونها واقعاً.

وهذا النوع من التعامل مع القضايا المطروحة شائع ومعروف.

ونجده لدى معظم العلماء في طروحاتهم ومحاوراتهم.

رأي المفيد في زوجتي عثمان:

ومهما يكن من أمر، فإننا نريد هنا أن نطرح مسألة نختلف مع الشيخ المفيد «رحمه الله» فيها، ونبين ما نعتمد عليه فيما نذهب إليه في ذلك، فنقول:

إنه «رحمه الله» تعالى قد تحدث في بعض الموارد في أجوبة المسائل السروية عن تزويج النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ابنتيه لعثمان بن عفان، بحيث يظهر من كلامه: أنه يرى: أنهما كانتا بنتين للنبي «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة.

وقال «رحمه الله» ما يلي:

«..قد زوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» ابنتيه قبل البعثة كافرين كانا يعبدان الأصنام. أحدهما: عتبة بن أبي لهب. والآخر: أبو العاص بن الربيع.

فلما بعض النبي «صلى الله عليه وآله» فرّق بينهما. فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص بعد إبانة الإسلام، فردّها عليه بالنكاح الأول».

إلى أن قال:

«وهاتان هما اللتان تزوجهما عثمان بن عفان، بعد هلاك عتبة، وموت أبي العاص»^(١).

وأصرح من ذلك قوله «رحمه الله» في أجوبة المسائل الحاجبية. قال «رحمه الله»: «وسأل فقال: الناس مختلفون في رقية وزينب، هل كانتا ابنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أم ربيتيه؟! فإن كانتا ابنتيه، فكيف زوجهما من أبي العاص بن الربيع، وعتبة

(١) عدة رسائل للشيخ المفيد ص ٢٩٩ والمسائل السروية، المسألة العاشرة.

بن أبي لهب، وقد كان عندنا منذ أكمل الله عقله على الإيمان، وولد مبعوثاً، ولم يزل نبياً صلى الله عليه.

وما باله رد الناس عن فاطمة «عليها السلام»، ولم يزوجها إلا بأمر الله عز وجل، وزوج ابنتيه بكافرين على غير الإيمان؟!

والجواب:

إن زينب ورقية كانتا ابنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمخالف لذلك شاذ بخلافه.

فأما تزويجه لهما بكافرين، فإن ذلك كان قبل تحريم مناكة الكفار. وكان له أن يزوجهما [بمن] يراه. وقد كان لأبي العاص رغبة نسب برسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان لهما محل عظيم إذ ذاك. ولم يمنع شرع من العقد لهما، فيمتنع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أجله.

فصل: وأما فاطمة، فإن السبب الذي من أجله ردّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاطبها حتى الوحي بتزويجها أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلأنها كانت سيدة نساء العالمين الخ..»^(١).

(١) المسائل الحاجبية ص ٧١ و٧٢ تحقيق مارتن ماكدرمت اليسوعي.



الفصل الثاني

النقد في بداياته



موقفنا:

فإن كان الشيخ المفيد «رحمه الله» يعتقد بمضمون هذا الكلام، ولم يورده على سبيل المجازاة في البحث، وإرسال الكلام وفق ما يرضاه من هو بصدد مناظرته ومحاورته، فإننا نقول:

إننا لا نوافقه على ما قاله، ولا نراه قريباً إلى الصواب، خصوصاً بالنسبة لتزوج عثمان من زينب بعد وفاة أبي العاص بن الربيع، وكذا بالنسبة لكون البنيتين اللتين تزوجهما عثمان بنتين لرسول الله صلى الله عليه وآله على الحقيقة.

ولبيان ذلك نقول:

عثمان لم يتزوج بزينب:

فأما بالنسبة لقول الشيخ المفيد «رحمه الله»:

«وهاتان هما اللتان تزوجهما عثمان بن عفان، بعد هلاك عتبة، وموت أبي العاص». فنقول:

إن من الواضح: أن التي تزوجها أبي العاص بن الربيع اسمها زينب. وعثمان لم يتزوج بها أصلاً. وقد توفيت زينب في سنة ثمان من الهجرة كما ذكره كل من ترجم لها، وكل من كتب في السيرة

النبوية الشريفة.

أما وفاة زوجها أبي العاص بن الربيع، فقد كانت بعد وفاتها بأربع سنوات، أي في السنة الثانية عشرة، في خلافة أبي بكر^(١).
وعثمان إنما تزوج رقية في مكة، ثم ماتت في المدينة مرجع المسلمين من غزوة بدر، فتزوج بعدها أم كلثوم، وماتت في سنة ثمان. وقيل: ماتت ولم يبين بها عثمان^(٢).

والخلاصة: أن زينب لم تتزوج عثمان قطعاً.

ونظير ما وقع من الاشتباه هنا: ما قاله البعض، وهو يتحدث عن بنات النبي: «... وأم كلثوم خرجت إلى أبي العاص، بن الربيع، بن عبد العزى بن عبد شمس، وزينب خرجت إلى عثمان أيضاً»^(٣).
مع أن العكس هو الصحيح، فإن زينب تزوجها أبو العاص، وأم كلثوم تزوجها عثمان كما هو معلوم.

ماذا عن بنات رسول الله ١ :

وأما بالنسبة لكون زينب، ورقية، وأم كلثوم، اللواتي كبرن، وتزوجن إحداهن أبا العاص بن الربيع، والأخرى عثمان بن عفان،
فإننا نقول:

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٣٥ وسائر كتب السيرة والتراجم.
(٢) راجع هذا القول: تنقيح المقال ج ٣ ص ٧٤/٧٣ عن قرب الإسناد، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٦ وقريب منه ما في الخصال ص ٤٠٧.
(٣) المجدي في أنساب الطالبين ص ٧.

إنهن لسن بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، وذلك يحتاج إلى توضيح في حدود ما يسمح لنا به المجال والوقت، شرط أن لا نزهق القارئ بالنصوص والتفاصيل الكثيرة والمتشعبة. بل نكتفي بالقول السديد، وبالمختصر المفيد إن شاء الله تعالى، فنقول:

رقية وأم كلثوم في عصمة أبي لهب:

إنهم يقولون: إن رقية وأم كلثوم كانتا قد تزوجتا في الجاهلية بابني أبي لهب، فلما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» ونزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ).^(١)

أمر أبو لهب ولديه بطلاقهما، وكذلك فعلت زوجته حمالة الحطب، محتجة لذلك بأنهما قد صبتا إلى دين أبيهما.

فطلقاهما قبل الدخول. فتزوجت رقية بعثمان بن عفان، وهاجرت معه إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، وكانت حاملاً، فأسقطت علاقة في السفينة كما ذكره البعض^(٢) ثم رجعت معه إلى المدينة، وماتت هناك.

وثمة أقاويل وتفصيل أخرى^(٣) لا حاجة لإيرادها هي الأخرى موضع شك وريب، ونكتفي ها هنا بما ذكر.

(١) راجع فيما تقدم: البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٧ وراجع: الإصابة ج ٤ ص ٤٩٠ و ٣٠٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٢٩٨ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١٢ و ٢١٤.

(٢) ذكرنا بعضها في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» في موارده ومناسباته.

ونقول:

الأدلة والشواهد

إن لدينا من الأدلة والشواهد ما يكفي للحكم بعدم صحة هذه المزاعم، ونذكر منها الدلائل التالية:

١ - بنات النبي ولدن في الإسلام:

قال المقدسي: «عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: ولدت خديجة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: عبد مناف في الجاهلية.

وولدت في الإسلام غلامين وأربع بنات: القاسم، وبه كان يكنى: أبا القاسم، فعاش حتى مشى ثم مات. وعبد الله مات صغيراً. وأم كلثوم، وزينب ورقية، وفاطمة»^(١).

وقال القسطلاني، والديار بكري: «وقيل: ولد له قبل المبعث ولد يقال له: عبد مناف، فيكونون على هذا إثني عشر، وكلهم سوى هذا وُلدوا في الإسلام بعد المبعث»^(٢).

وقد صرح الزبير بن بكار وغيره بأن عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، قد ولدوا كلهم بعد الإسلام^(٣).

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ وج ٤ ص ١٣٩.

(٢) المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢.

(٣) راجع: نسب قريش ص ٢١ وعنه في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٧ ونخائر العقبي

وقال السهيلي أيضاً: «كلهم ولدوا بعد النبوة»^(١).

فإذا كانت رقية قد ولدت بعد المبعث، كما يقوله هؤلاء، فكيف يصح أن يقال: إنها تزوجت في الجاهلية بابن أبي لهب، فلما جاء الإسلام أسلمت، فطلقها زوجها، فتزوجها عثمان، وحملت منه، وأسقطت علقه في السفينة، وهي مهجرة إلى الحبشة، بعد البعثة بخمس سنوات فقط؟!!

وكذلك الحال بالنسبة لأم كلثوم، فإنها إذا كانت قد ولدت بعد المبعث، فكيف تكون قد تزوجت في الجاهلية، ثم لما أسلمت بعد المبعث طلقها زوجها قبل الهجرة إلى الحبشة؟!!

٢ - ثبت يدا أبي لهب وتب:

لقد ذكروا: أن أبا لهب قد أمر ولديه بطلاق بنتي النبي «صلى الله عليه وآله»، بعد نزول سورة: ثبت يدا أبي لهب وتب. ووافقته على ذلك زوجته حمالة الحطب، محتجة بأن هاتين البنيتين قد صبتا إلى دين أبيهما^(٢) ثم تزوج عثمان رقية وهاجر بها إلى الحبشة.

ص ١٥٢، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٤ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة ج ٤ ص ٢٨١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ وراجع: الروض الأنف ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥.
(٢) راجع: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٨ وسيرة مغلطاي ص ١٦ والثقات ج ٢ ص ١٤٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ والتبيين في أنساب القرشيين ص ٨٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٥٦ و ٦١٢ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة

ونقول:

ألف: إن ذلك يتنافى مع قولهم: إن هذه السورة (سورة المسد) قد نزلت حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب^(١)، لأن الحصر في الشعب قد بدأ في السنة السادسة من البعثة، أي بعد الهجرة إلى الحبشة بسنة.

ونحن نرجح هذه الرواية على تلك الرواية التي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» حين نزل قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صنع لهم طعاماً ودعاهم، فقال له أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب^(٢).

وذلك لأن هذه السورة قد نزلت جملة واحدة، كما هو ظاهر لا

(ج ٤ ص ٢٢٩ وأنساب الأشراف (قسم سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ص ٤٠٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٧ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٣ ونور الأبصار ج ٤٣ وذخائر العقبى ص ١٦٢ والإصابة ج ٤ ص ٤٩٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٩ عن الطبراني والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٦ و٣٧ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١٢ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٥١.

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨ عن دلائل النبوة لأبي نعيم.

(٢) راجع: نور الثقلين ج ٦ ص ٦٩٨ وج ٤ ص ٦٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ وج ٦ ص ٤٠٨ عن سعيد بن منصور والبخاري، وابن مردويه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ومسلم، وأبي نعيم، والبيهقي في الدلائل والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٣٤ وتفسير البحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٤ ولباب التأويل ج ٤ ص ٤٢٤ ومدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٤٢٤ وفتح القدير (تفسير) ج ٥ ص ٥١٣، وأسباب النزول ص ٢٦٢.

يخفى من سياقها وكما صرّحوا به^(١) قد تضمنت الإزراء على أم جميل لأذاها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومن الواضح: أن تعرض قريش لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأذى، قد كان بعد نزول آية إنذار العشيرة، وذلك حينما بدأ يذكر آلهتهم، ويسقّه أحلامهم.

ويؤيد ذلك: أنه قد قيل في سبب نزول السورة أيضاً: إنه كان إذا وفد على النبي «صلى الله عليه وآله» وفد سألوا عمه عنه، وقالوا: أنت أعلم به، فيقول لهم: إنه ساحر، فيرجعون عنه، ولا يلقونه. فأتاه وفد، فقال لهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه، فقال: إنا لم نزل نعالجه من الجنون، فتنّبأ له.

فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك، فحزن، ونزلت السورة^(٢).

ومن الواضح: أن محاولة اتصال الوفد به «صلى الله عليه وآله» واتصاله هو بالوفود قد كانت متأخرة عن نزول آية إنذار العشيرة بسنوات.

ب: إنه إذا كان طلاق رقية وأم كلثوم قد حصل بعد نزول سورة المسد، وبعد تعرّض المشركين للنبي «صلى الله عليه وآله» بالأذى،

(١) الاتقان ج ١ ص ٣٧.

(٢) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٦٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٣٥.

فإن ما يثير التساؤل هنا هو السبب الذي جعل ابني أبي لهب يمتنعان عن الدخول بزوجتيهما، اللتين كانتا في وضع لا يمنع من ذلك. وها هو عثمان يتزوج إحداهما ويدخل بها فوراً، فتحمل منه، وتسقط علقه في السفينة حين هجرتهما إلى الحبشة، كما يدّعون!!.

ج: يقول البعض: «أما رقية، فتزوجت من عتبة بن أبي لهب، فمات عنها»^(١).

وعليه فإن دعوى طلاق ابن أبي لهب لرقية تصبح موضع شك أيضاً. ولا يبقى وثوق بالسبب الذي ادعوه لذلك، وهو نزول السورة وإسلام البنات، فتترجح رواية نزول السورة، والمسلمون محصورون في الشعب.

(١) تاريخ أهل البيت ص ٩٢.

الفصل الثالث:

٣ - إن شأنك هو الأبتـر



٣ - إن شائنك هو الأبتَر:

أخرج الزبير بن بكار، وابن عساكر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

توفي القاسم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة، فمرّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو آت من جنازته، على العاصي بن وائل وابنه عمرو، فقال حين رأى رسول الله: أني لأشْنُوهُ.

فقال العاصي بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتَر.

فأنزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)^(١).

ورواية أخرى تقول: ولد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. فمات القاسم أولاً، ثم مات عبد الله، فقال العاصي: قد انقطع نسله، فهو أبتَر، فنزلت الآية^(٢).

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤.

(٢) راجع: الوفاء ص ٦٥٥ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٢ والدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٣، وفتح القدير ج ٥ ص ٥٠٤.

وروى البعض: أن الآية نزلت في عمرو بن العاص، لا في العاص نفسه^(١).

وفي رواية السدي وابن عباس: أن الآية نزلت حين قال العاص بعد موت ابن لرسول الله.

وحسب تعبير آخر: بعد موت ولد رسول الله^(٢).

وقل نزلت في عقبة بن أبي معيط لأجل ذلك^(٣).

أو في أبي لهب كذلك أيضاً^(٤).

أو في قريش في هذه المناسبة كذلك^(٥).

ولكن رواية أخرى ذكرت: أن الآية نزلت في أبي جهل حين قال

ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢٠٨.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٦٩/٧٠.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ عن ابن سعد وابن عساكر، وابن أبي حاتم ولباب التأويل ج ٤ ص ٤١٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٢٢ لكنه ذكر أو الولد هو عبد الله، وكذا في التفسير الكبير ج ٣ ص ١٣٢.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤ عن ابن أبي حاتم، وابن جرير وفتح القدير ج ٥ ص ٥٠٣ والبحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٢٣ والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٣٣.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٥٩ والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٣٣.

(٥) راجع: الثقات ج ٢ ص ١٤٢ والتبيان ج ١٠ ص ٤١٨ وفتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٥٠٤. وراجع: لباب التأويل ج ٤ ص ٤١٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٢٢ والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٣٢.

ما قال بمناسبة موت إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).
وقيل غير ذلك.

ونقول:

إن المشهور هو أن القاسم كان أكبر ولِد رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

والرواية السابقة التي هو مورد البحث تدل على أنه قد مات بعد بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف إذا كان عبد الله قد مات بعده بشهر، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً، حيث سيأتي: أن عبد الله قد ولد ومات بعد النبوة قطعاً.

وهم يقولون: إنه حين مات القاسم كان عمره سنتين^(٣) وقيل:

(١) راجع: البحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٠ والنهر الماد من البحر (بهامش البحر المحيط) ج ٨ ص ٥١٩ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٠٣ و٥٠٤ وراجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٢٢ والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٣٣.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤ ودلائل النبوة ج ٢ ص ٧٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٣ والثقات ج ٢ ص ١٤٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٣ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢٠٨ والوفاء ص ٦٥٥ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٩١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٧ ونور الأبصار ص ٤٣ وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ٨٢/٨١ وذخائر العقبى ص ١٥٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٧ و٢١٢ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٢.

(٣) سيرة مغلطاي ص ١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٣ والوفاء ص ٦٥٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ والسيرة الحلبية

عاش حتى مشى^(١).

وجمع البلاذري بين هذين القولين فقال: «مات وقد مشى، وهو ابن سنتين»^(٢).

وآخرون يقولون: إن أولاد النبي «صلى الله عليه وآله» ماتوا رضعاً، زاد بعضهم قوله: قبل المبعث^(٣) وعلى حد تعبير آخر: «ماتوا صغاراً جداً»^(٤).

وقال مجاهد عن القاسم: عاش سبعة أيام (أو ليال)^(٥).

وقيل: عاش سبعة عشر شهراً^(٦).

وعند السهيلي: «بلغ القاسم المشي، غير أن رضاعه لم يتم»^(٧).

ج ٣ ص ٣٠٨ ونور الأبصار ص ٤٣ وذخائر العقبي ص ١٥٢ وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ٨٢.

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ والتبيين في أنساب القرشيين ص ٨٧ وذخائر العقبي ص ١٥٢.

(٢) أنساب الأشراف (السيرة النبوية) ص ٣٩٦.

(٣) تاريخ الغسلام (السيرة النبوية) ص ٦٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٢ وذخائر العقبي ص ١٥٢ وبهجة المحافل ج ٢ ص ١٣٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ١٦.

(٥) سيرة مغلطاي ص ١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٣٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ وذخائر العقبي ص ١٥٢.

(٦) سيرة مغلطاي ص ١٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٧) الروض الآنف ج ١ ص ٢١٤.

وفي نص آخر: «أما القاسم والطيب فماتا بمكة صغيرين»^(١).
وبعض آخر يقول: بلغ القاسم أن يركب الدابة، ويسير على
النجبية^(٢).

أما اليعقوبي، فقد قال: «كان للقاسم يوم توفي أربع سنين»^(٣).

شواهد على أن القاسم مات بعد النبوة:

فإذا كان القاسم قد مات صغيراً، فلننظر متى ولد القاسم، على
وجه التقريب، فقد جاء في مسند الفريابي ما يدل على أنه ولد في
الإسلام.

ويدل على ذلك الروايتان التاليتان:

ألف: ما روي من أنه لما توفي القاسم كان له أربع سنين، ثم
توفي عبد الله بن رسول الله بعده بشهر، ولم يفطم.
فقال خديجة: يا رسول الله، لو بقى حتى أفطمه.
قال: فإن فطامه في الجنة^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٢.

(٢) راجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ وبهجة المحافل ج ٢ ص ١٣٧ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٢٧٣. ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٦٩ والدر المنثور ج ٦
ص ٤٠٤ عنه والسيرة الحبية ج ٣ ص ٣٠٨. وذخائر العقبى ص ١٥٢ وزاد
المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥ وسيرة مغلطاي ص ١٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٢.

ب: «وقع في مسند الفريابي: أن خديجة دخل عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد موت القاسم، وهي تبكي، فقالت: يا رسول الله! درت لبينة القاسم، فلو عاش حتى يستكمل رضاعه لهوّن عليّ.

فقال: إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعه.

فقالت: لو أعلم ذلك لهوّن عليّ.

فقال: إن شئت أسمعك صوته في الجنة.

فقالت: بل أصدق الله ورسوله»^(١).

قال السهيلي: «وهذا الحديث يدل على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية»^(٢).

وخلاصة الأمر: إن سورة الكوثر قد نزلت بعد عدة سنوات من البعثة، حيث إنها هي السورة الرابعة عشرة بحسب ترتيب نزول السور الوارد في رواية ابن عباس^(٣).

والمستفاد هنا: أن رقية وأم كلثوم قد ولدتا بعد موت القاسم، وعبد الله، أي بعد البعثة بسنوات أيضاً، فكيف تكونان قد تزوجتا أبناء أبي لهب في الجاهلية، ثم تزوجت رقية عثمان وهاجرت إلى الحبشة في الخامسة من البعثة، وحملت فأسقطت علقة في السفينة؟!!

(١) الروض الآنف ج ١ ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٥.

(٣) الإتيان ج ١ ص ١٠ والبرهان للزركشي ج ١ ص ١٩٣.

الرواية المتقدمة بطريقة أخرى:

وعن ابن عباس قال:

«ولدت خديجة من النبي عبد الله بن محمد. ثم أبطأ عليه الولد من بعده، فبينما رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكلم رجلاً، والعاص بن وائل ينظر إليه، إذ قال له رجل: من هذا؟

قال: هذا الأبتَر. يعني النبي «صلى الله عليه وآله».

وكانت قريش إذا ولد الرجل^(١) ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا: هذا الأبتَر.

فأنزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ). إن مبغضك هو الأبتَر الذي بتر من كل خير.

ثم ولدت له زينب، ثم ولدت له رقية، ثم ولدت له القاسم ثم ولدت الطاهر ثم ولدت المطهر، ثم ولدت الطيب، ثم ولدت المطيب. ثم ولدت أم كلثوم، ثم ولدت فاطمة، وكانت أصغرهم^(٢).

وهذه الرواية تفيد: أن نزول سورة الكوثر قد كان قبل ولادة جميع أبنائه «صلى الله عليه وآله» ما عدا عبد الله الذي كانت ولادته في الإسلام عند جل المؤرخين^(٣).

(١) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: للرجل.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٣/٢٦٤ وراجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢ والوفاء ص ٦٥٥ و٦٥٦ ومروج الذهب ج ٢

فيكون تزويج رقية وأم كلثوم من ابني أبي لهب ثم من عثمان محض خيال من الرواة ومن تحرضاتهم.

لكن القول هنا بأن عبد الله هو أكبر أولاد النبي «صلى الله عليه وآله» خلاف ما هو مشهور، وذلك لا يوجب القطع ببطلان الرواية، فرب مشهور لا أصل له، ولا منطق يساعده.

تناقض غير مقبول:

وقد روى أبو هلال العسكري هذه الرواية عل النحو التالي:
«مات القاسم والطاهر - قبل النبوة - فمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً من جنازة القاسم على العاص بن وائل السهمي، وابنه عمرو، فقال عمرو: إني لأشنؤه. فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبتر. فانزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)»^(١).

ف نجد أن هذه الرواية تصرح بموت القاسم قبل النبوة، ثم تقول: إن العاص بن وائل قال ما قال حين رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من جنازة القاسم، فنزلت الآية. فلا يعقل أن تنزل الآية عليه «صلى الله عليه وآله» في هذه المناسبة إلا بعد النبوة، وذلك ظاهر.

إلا أن يقال: إن نزول الآية قد تأخر عن مناسبتها إلى ما بعد

ص ٢٩١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ والتبيين في أنساب الأشراف ص ٨٧ وإسعاد الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ٨٢.

(١) الأوائل ج ١ ص ١٦٦.

سنوات عديدة، وهو بعيد في الغاية، وخلاف ظاهر الرواية، التي جاءت بفاء التفريع.

أو يقال: إن قوله أولاً «قبل النبوة» قد جاء من قبل الرواة، اعتماداً منهم على ما هو المرتكز في أذهانهم بحسب ما سمعوه قبل ذلك.

وربما يكون ذلك سبق من قلم النساخ، وربما، وربما!!

تذكير:

وقبل أن نمضي في الحديث نسجل هنا تحفظاً على القول المتقدم بأن المراد بالأبتر هو أبو جهل، لوصفه النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك حين موت ولده إبراهيم.

فإن أبا جهل قد مات في السنة الثانية من الهجرة في بدر، أي قبل ولادة إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعدة سنوات. فهذا يرجح الرواية الأخرى التي تقول: إن ذلك قد صدر من العاص بن وائل بمناسبة موت القاسم، أو عبد الله ابني النبي «صلى الله عليه وآله».



الفصل الرابع

٤ - صغرى بنات النبي ١



٤ - صغرى بنات النبي ١ :

قال الجرجاني إنه قد صح عنده: أن رقية كانت أصغر بنات النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى من فاطمة «عليها السلام»^(١).

ويرى بعض آخر: أن أم كلثوم كانت هي الأصغر من الكل^(٢).

قال أبو عمر: كانت فاطمة هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واختلف في الصغرى منهما. وقال ابن سراج: سمعت عبيد الله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي^(٣) أضاف في الاستيعاب: وقد قيل: إن

(١) راجع: الإصابة ج ٤ ص ٣٠٤ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٩٩ و ٢٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٣ وراجع: الوفاء ص ٦٥٦ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) راجع: زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥ والطبقات الكبرى ج ١ ص ١٣٣ والوفاء ص ٦٥٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ وجمهرة أنساب العرب ص ١٦ ونور الأبصار ص ٤٣ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ٨٢ ومحاضرة الأوائل ص ٨٨.

(٣) نهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١٣ وراجع: الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٣٧٣ وم ٣٧٤.

رقية أصغر منها^(١).

وقال فريق آخر: «الأكثر على أن فاطمة أصغرهن سناً».

ورآه بعض آخر: أنه هو الصحيح^(٢).

فإذا صح أن رقية أو أم كلثوم كانت أصغر من فاطمة، فلا بد من الرجوع إلى تاريخ ولادة فاطمة «عليها السلام»، فبينما نرى البعض يذكر: أنها قد ولدت قبل البعثة^(٣)، فإن البعض الآخر يقول: إنها ولدت في سنة البعثة^(٤).

والبعض الآخر يقول: ولدت سنة إحدى وأربعين^(٥).

(١) الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٣٧٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢ وبهجة المحافل ج ٢ ص ١٣٧ والوفاء ص ٦٥٦ وراجع: الأوائل للعسكري ج ١ ص ١٦٦ والروض الأنف ج ١ ص ٢١٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ ونخائر العقبي ص ١٥٣.

(٣) راجع المصادر لذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ١ حين الحديث حول ولادة فاطمة عليها السلام.

(٤) البحار ج ٤٣ ص ٨ عن إقبال الأعمال، وعن حدائق الرياض للشيخ المفيد، وتاريخ الخلفاء ص ٧٥، وهو مقتضى كلام العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٤١ حيث قال: إنها تزوجت في السنة الثانية من الهجرة وعمرها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً.

(٥) راجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٦٣ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١٣ وسيرة مغلطاي ص ١٧ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٧١ والبحار ج ٤٣ ص ٨ وملحقات إحقاق الحق للمرعشي ج ١٠ ص ١١ عن الثغور الباسمة للسيوطي، وراجع: البصائر والذخائر ج ١ ص ١٩٣ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٠ والتبيين في أنساب القرشيين ص ٩١ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢

وثمة من يقول: ولدت في السنة الثانية من البعثة^(١).

أما نحن فنقول:

أنها «عليها السلام» قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة فيكيف تكون رقية قد تزوجت في الجاهلية من أبي لهب، ثم لما بعث رسول الله أسلمت، فطلقها زوجها ليتزوجها عثمان، فتحمل، وتسقط في السفينة حين الهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة بعد البعثة؟!!

وقد وافقنا على ما نذهب إليه في تاريخ ميلاد فاطمة «عليها السلام» جماعة، فقالوا: إن فاطمة قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة^(٢).

ألف: ما قدمناه في أوائل هذا البحث من أن غير واحد قد نصوا على أن أولاد النبي «صلى الله عليه وآله» كلهم قد ولدوا بعد النبوة،

ص ٢٦٩ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٨ والاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٣٧٤.

(١) راجع: البحار ج ٤٣ ص ٩ وراجع: نهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١٣.

(٢) راجع المصادر التالية: البحار ج ٤٣ ص ١٠-١ عن الكافي بسند صحيح، والمصباح الكبير، ودلائل الإمامة، ومصباح الكفعمي، والروضة، ومناقب ابن شهر آشوب.

وفي هذين الأخيرين: أنها عليها السلام ولدت بعد البعثة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين.

وراجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ وكشف الغمة ج ٢ ص ٧٥ وإثبات الوصية للمسعودي، وذخائر العقبى ص ٥٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧ عن الإمام أبي بكر أحمد بن نصر، بن عبد الله الدراع في كتاب: تاريخ مواليد أهل البيت.

باستثناء عبد مناف عند بعضهم. فراجع ما نقلناه عن مصعب الزبيري، والسهيلي، والمقدسي والقسطلاني وغيرهم.

ب: هناك روايات كثيرة أوردها جماعة من الحفاظ والعلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، كلها تدل على أن نطفة فاطمة «عليها الصلاة والسلام» قد انعقدت من ثمر جاء به جبرائيل من الجنة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين الإسراء والمعراج، الذي كان في السنة الثانية، أو الثالثة من البعثة على ما هو الأظهر والأرجح^(١).

وقد رويت هذه الروايات عن جماعة من الصحابة مثل: سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعمر بن الخطاب، وسعد بن مالك، وابن عباس، وغيرهم وروى ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً^(٢)

(١) راجع ذلك في كتابا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله». (٢) تجد بعض هذه الروايات في كتب الشيعة في: علل الشرايع ص ٧٢ والبحار ج ١٨ ص ٣١٥ و ٣٥٠ و ٣٦٤ وج ٤٣ ص ٤ و ٥ و ٦ عن تفسير القمي، وعن الأمالي للصدوق، وعيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، والاحتجاج، والأنوار النعمانية ج ١ ص ٨٠ وغير ذلك.

وتجده في كتب غير الشيعة في: المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٥ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) ونزل الأبرار ص ٨٨ والدر المنثور ج ٤ ص ١٥٣ عن الحاكم والطبراني وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٧ ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص ٣٥٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧ ونظم درر السمطين ص ١٧٦ وذخائر العقبى ص ٣٦ ومحاضرة الأوائل ص ٨٨. ونور الأبصار ص ٤٤٤ و ٤٥٤ ولسان الميزان ج ١ ص ١٣٤ واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٩٢ و ٣٩٤ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩ ومقتل الحسين للخوارزمي

ومهما أمكنت المناقشة في بعض تلك الروايات، فإن بعضها الآخر، لا مجال للنقاش فيه، كما لا يخفى على من راجعها، ودقق النظر فيها.

ج: ومما يدل على ذلك: ما روي من أن نساء قريش قد هجرن خديجة، فلما حملت بفاطمة «عليها السلام» كانت تحدثها من بطنها، وتصبرها. وكانت تكتم ذلك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله». فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً، فسمع خديجة تحدث فاطمة، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟! قالت: الجنين الذي يحدثني ويؤنسني.

قال: يا خديجة! هذا جبرائيل يخبرني: أنها أنثى الخ..^(١). فهذا الحديث يدل على أن الحمل بفاطمة قد كان حينما كان جبرائيل يلتقي بالنبى «صلى الله عليه وآله» وقد كان ذلك بعد أن نُبئ «صلى الله عليه وآله».

كما أنه يدل على أن الحمل بفاطمة قد كان بعد عدة سنوات من

ص ٦٤/٦٣ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ و ١٦٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٢ وينايع المودة ص ٩٧ ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٧٩ وإحقاق الحق (الملحقات للمرعشي) ج ١٠ ص ١١-١٠ عن بعض من تقدم وعن: أرجح المطالب ص ٢٣٩ وعن وسيلة المآل ص ٧٩/٧٨ وعن إعراب ثلاثين سورة ص ١٢٠ وعن مفتاح النجاص ص ٩٨ (مخطوط) وعن أخبار الدول ص ٨٧ وعن ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٨ و ٢٥٣ وج ٢ ص ٢٦ و ٨٤ وعن كنز العمال.

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢.

البعثة، أي بعد إظهار قریش لعدائها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحينما هجرت نساء قریش خديجة «رحمها الله». ولم يكن ذلك إلا بعد البعثة بعدة سنوات، أي بعد انتهاء الدعوة غير المعلنة، ثم الدخول في مرحلة جديدة كما هو ظاهر.

د: ما روي من أن أبا بكر خطب فاطمة، فرده «صلى الله عليه وآله». ثم خطبها عمر فرده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال لهما: إنها صغيرة، فخطبها علي «عليه السلام» فزوجه^(١).

فلما عاتب الخاطبون رسول الله «صلى الله عليه وآله» على منعهم وتزوج علي «عليه السلام»، قال «صلى الله عليه وآله»: والله ما أنا بمنعكم وزوجته، بل الله بمنعكم وزوجه^(٢).

ومن الواضح: أن تزويج فاطمة قد كان في السنة الثانية بعد الهجرة، فالتعليل لردهما بكونها صغيرة، يشير إلى أن ولادتها قد كانت بعد البعثة بعدة سنوات إذ لو كانت قد ولدت قبل البعثة بخمس سنوات كما يدعون، لكان عمرها حين زواجها حوالي عشرين سنة،

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤٥ وتذكرة الخواص ص ٣٠٦/٣٠٧ ومستدرك الحاكم على الصحيحين ج ٢ ص ١٦٧ و١٦٨ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) وسكت عنه، وسنن النسائي ج ٦ ص ٦٢.

وقد ذكرنا لحديث الخطبة والرد، ثم التزويج لعلي عليه السلام مصادر كثيرة في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٤ ص ٢٦/٢٧.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩٢ وغير ذلك.

ولا يقال لمن تكون بهذه السنة: إنها صغيرة!!
ومما يدل على أن خطبة أبي بكر وعمر لها قد كانت بعد الهجرة،
قولهم: خطب أبو بكر فاطمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: هي لك يا علي لست بدجال^(١).
حيث إن ظاهر في أن تزويجها لعلي قد أعقب خطبة أبي بكر
وعمر لها، من دون فصل.

(١) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٨ ص ١٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤ عن البزار
واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥ عن العقيلي والطبراني وقال الهيثمي: رجاله
ثقات إلا أن أبا العنيس لم يسمع من النبي.
ولنا كلام مطول مع المنتقدين للرواية فراجع الصحيح من سيرة النبي ج ٤ ص ٣٠ وما
بعدها.

الفصل الخامس

ولدينا المزيد



٥ - متى تزوجت خديجة برسول الله ﷺ؟!

ثم إن ما ذكره من تزوج رقية وأم كلثوم بابني أبي لهب يتوقف على أن تكون خديجة قد تزوجت برسول الله في وقت مبكر قبل البعثة.

ونحن وإن كنا نجدهم يروون: أنها «رحمها الله» قد تزوجت بالنبي «صلى الله عليه وآله» قبل البعثة بخمس عشرة سنة، أو ست عشرة، أو حتى عشرين سنة، كما في بعض الأقوال الشاذة^(١).

إلا أننا نجد أقوالاً أخرى تفيد: أنها «رحمها الله» قد تزوجت برسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل البعثة بعشر سنين^(٢).

وقال البعض: تزوجته قبل البعثة بخمس سنين^(٣).

وبعض آخر يقول: إنها قد تزوجته قبل البعثة بثلاث سنين^(١).

(١) راجع هذه الأقوال - كلاً أو بعضاً - في: تاريخ الخميس ج ١٢ ص ٢٦٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٩ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٧٥ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٨٠ وسيرة مغلطاي ص ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٣٨ و٢٠٢ والروض الأنف ١ ص ٢١٦.

(٢) راجع الروض الأنف ج ١ ص ٢١٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٣٨ و٢٠٢ وسيرة مغلطاي ص ١٢ ومختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٧٥.

(٣) الأوائل ج ١ ص ١٦١.

وربما يرجح هذا القول الأخير ما نقله البيهقي من أنها «رحمها الله» قد توفيت وعمرها خمسون سنة على الأصح^(٢).

ويرجحه أيضاً قولهم المتقدم: أنها «رحمها الله» لم تلد في الجاهلية سوى عبد مناف.

وبذلك يتضح: أن القول بأنها قد ولدت رقية، وأم كلثوم في الجاهلية، ثم كبرت، وتزوجتا بابني أبي لهب، ثم بعثمان، يصبح موضع شك وريب. ويزيد هذا الريب حتى يصل إلى درجة اليقين بكذب ذلك، بملاحظة سائر الدلائل والشواهد التي أوردناها ونوردها في هذا البحث.

٦ - ماذا يقول الدولابي؟

أما الدولابي، فيقول: إن عثمان قد تزوج رقية في الجاهلية^(٣) ويظهر من الديار بكرى أيضاً: أنه جازم بذلك^(٤).

ومعنى ذلك: أن ما يذكرونه من زواج بنتي رسول الله بابني أبي لهب لا يصح، إذا لوحظ ما يذكرونه من سبب طلاقهما إياهما.

(١) راجع: سيرة مغلطاي ص ١٢ عن ابن جريج، وكذا في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٩ والأوائل ج ١ ص ١٦١.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ١ ص ٧١.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ وذخائر العقبى ص ١٦٢ وراجع: إسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ٨٣.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.

٧ - هجرة الفواطم (!!)

ومما يزيد الأمر وضوحاً: أن أم كلثوم التي يدعى أنها بنت النبي «صلى الله عليه وآله» وطلقها ابن أبي لهب في مكة، ثم تزوجها عثمان في المدينة بعد الهجرة بعدة سنوات، لم نجد لها ذكراً حين الهجرة إلى المدينة، بل المؤرخون يقتصرون على القول: بأن علياً «عليه السلام» قد حمل معه الفواطم، وأم أيمن، وجماعة من ضعفاء المؤمنين^(١).

وليس ثمة أية إشارة إلى أم كلثوم إطلاقاً، فهل هاجرت قبل ذلك، أو بعده؟ ومع من؟! ولماذا؟!

أم أنها قد جعلت في جملة الضعفاء؟! فلماذا إذن أفردت عن أختها فاطمة، وعن أم أيمن، وجعلت في جملة ضعفاء المؤمنين؟! لا ندري.

ولعل الفطن الذكي يدري !!

٨ - زينب أيضاً لم تكن بنتاً لرسول الله ١ :

وبعد ما تقدم فإننا بالنسبة إلى زينب زوجة أبي العاص بن الربيع نقول:

ألف: إن القول في بنوة زينب الحقيقية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هو نفس القول الذي تقدم في رقية، وأم كلثوم. فإن أكثر ما

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣، وسيرة المصطفى ص ٢٥٩.

أوردناه هناك يرد هنا.

ب: إن البعض يقول: إن خديجة قد ولدت للنباش بن زرارة ثلاثة أولاد، هم: هند، والحرث، وزينب^(١).

وهذا يؤيد ما يذهب إليه البعض، من أن زينب كانت ربيبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

ونحن وإن كنا قد ناقشنا بصورة قوية في أن تكون خديجة قد تزوجت أحداً قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لكن هذا النص يسجل اعترافاً بأن زينب كانت بنتاً لأبي هلاله لا للنبي.

يبقى الكلام في أنها هل هي بنت أخت خديجة، أو بنت زوج أختها وهو بحث آخر، لا أثر له فيما نحن بصدده هنا.

ج: عن عمرو بن دينار: إن حسن بن محمد بن علي أخبره: أن أبا العاص بن الربيع، بن عبد العزى، بن عبد شمس، بن عبد مناف، وكان زوجاً لبنت خديجة، فجيء به للنبي «صلى الله عليه وآله» في قُدٍّ، فحلت به زينب بنت النبي «صلى الله عليه وآله» الخ..^(٢)

فكأن هذا النص يريد أن يشير إلى أن المتحدث يرى: أنها كانت بنتاً لخديجة على الحقيقة.

(١) سيرة مغلطاي ص ١٢ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ١٧١.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢٢٤.

وأما نسبتها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في ذيل كلامه فلعلة قد أراد به البنوة بالتربية، وتكون نسبتها إلى خديجة وحدها أولاً قرينة على ذلك.

الاشتباه في الإعراب:

قد ذكر الشيخ محمد حسن آل يس: أن بعض المصادر تقول: إن زينب قد ولدت للنبي «صلى الله عليه وآله» وكان عمره ثلاثين سنة^(١) وتزوجها أبو العاص قبل البعثة، وولدت له علياً «مات صغيراً» وأمامة، وأسلمت حين أسلمت أمها في أول البعثة.

قال: وذلك غير معقول: إذ لا يمكن لبنت في العاشرة أن تتزوج ويولد لها بنت، وتكبر تلك البنت حتى تسلم مع أمها في أول البعثة، هذا، وحيث لا تزال أمها في العاشرة من عمرها^(٢).

ونقول:

إن استنتاج هذا الباحث مرتكز على أن تكون عبارة: وأسلمت حين أسلمت أمها، يُقصد بها أمامة، وأمها زينب.

ولكن ذلك غير ظاهر، بل الصحيح هو أن الضمير يرجع إلى زينب وأمها خديجة، لأن الحديث هو عن زينب، وقد جاء ذكر

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٧ ونهاية الإرب ج ١٨ ص ٢١١ والاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٤ ص ٣١١ وهم يذكرون ذلك في مختلف كتب السيرة والتراجم، حين الحديث حول زينب.

(٢) كتاب النبوة للشيخ محمد حسن آل ياسين هامش ص ٦٥.

أولادها، أعني علياً وأمارة عرضاً.

الفصل السادس:

دليل آخر



٩- زينب ورقية ربيبتان للنبي ١ :

١ - قال أبو القاسم الكوفي ما ملخصه:

إنه قد كانت لخديجة أخت أسمها «هالة»، تزوجها رجل مخزومي، فولدت له بنتاً اسمها هالة. ثم خلف عليها أي على هالة الأولى «رجل تميمي» يقال له: أبو هند، فأولدها ولداً اسمه هند.

وكانت لهذا التميمي امرأة أخرى قد ولدت له بنتين اسمهما «زينب ورقية» فماتت، ومات التميمي. فلحق ولده هند بقومه، وبقيت هالة أخت خديجة، والطفلتان اللتان من التميمي، وزوجته الأخرى، فضمتهم خديجة إليها.

وبعد أن تزوجت بالرسول «صلى الله عليه وآله» ماتت هالة، فبقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول «صلى الله عليه وآله».

وكان العرب يزعمون: أن الربيبية بنت، فلأجل ذلك نسبنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أنهما بنتان لأبي هند زوج أخت خديجة الخ^(١).

(١) راجع: الاستغاثة ج ١ ص ٦٨-٦٩ ورسالة مطبوعة طبعة حجرية، مع كتاب مكارم الأخلاق ص ٦.

٢ - وقال ابن شهر آشوب، وهو يتحدث عن أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوج خديجة وهي عذراء.

«يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة»^(١).

وقال أيضاً: «وفي الأنوار والكشف، واللمع، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربيبتيه من جحش»^(٢).

ولم نفهم المقصود من كلمته الأخيرة: «من جحش» فهل هي تصحيف كلمة هند، أو هالة، أو نحو ذلك؟ أم أن العبارة كانت هكذا: «ربيبة ابن جحش»؟!

فصحفت كلمة «ابن» فصارت: «من»؟!

كل ذلك محتمل ولا بد لترجيح أي من الاحتمالات من شاهد ودليل.

خديجة لم تتزوج أحداً قبل النبي ١ :

ولا بد لنا من أجل تأييد ما رواه أبو القاسم الكوفي من أن نشير إلى أن البحث العلمي الموضوعي لا يؤيد دعوى البعض: أن خديجة قد تزوجت برجلين قبل النبي «صلى الله عليه وآله».

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ والبحار تنقيح المقال، وقاموس الرجال كلهم عن المناقب.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٢.

ولعل هذه الدعوى قد صنعتها يد السياسة، أو أنها قد جاءت لتكريس فضيلة لعائشة أم المؤمنين، مفادها: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يتزوج بكرراً غيرها.

إذ أن المتتبع للتاريخ والحديث يلمس حرصاً ظاهراً من أم المؤمنين، ومن محبيها، وخصوصاً الزبيريين منهم، على تسطير الفضائل لها، ولو بالإغارة على فضائل غيرها، ونسبتها إليها، كما كان الحال في قضية الإفك، كما أثبتناه في كتاب لنا مطبوع منذ سنوات.

الشواهد والأدلة:

وما نستند إليه في شكننا بما يدّعيه هؤلاء بالنسبة لزواج خديجة بأحدٍ قبل النبي «صلى الله عليه وآله»، بالإضافة إلى ما تقدم نقله عن الاستغاثة، هو ما يلي:

أولاً: اضطراب المعلومات التي يقدمها مدّعو تزوجها «عليها السلام» برجلين قبل النبي «صلى الله عليه وآله».

فقد جاءت هذه المعلومات متناقضة ومتضاربة إلى حد كبير.

فهل اسم أبي هلاله هو «النباش بن زرارة»، أو «زرارة بن النباش» !

أو اسمه «هند»، أو «مالك»؟!

وهل هو صحابي؟ أو غير صحابي؟!

وهل تزوجته قبل عتيق؟ أو بعده؟^(١).

وبالنسبة إلى «هند» الذي ولدته خديجة، هل هو ابن هذا الزوج؟ أو ابن ذاك؟! فإذا كان ابن عتيق، فهو أنثى^(٢)، وإن كان ابن ذاك الآخر فهو ذكر.

وهذا الولد الذكر هل مات بالطاعون؟، أم أنه قتل مع علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل بالبصرة؟!^(٣).

وثانياً: قال أبو القاسم الكوفي:

«إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنال (الآثار ظ)، ونقله الأخبار عن أنه لم يبق من أشراف قريش، ومن ساداتهم، وذوي النجدة منهم إلا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك.

فلما تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» غضب عليها نساء قريش، وهجرنها، وقلن لها:

خطبك أشراف قريش، وأمراؤهم، فلم تتزوجي أحداً منهم؟

(١) راجع: الأوائل ج ١ هامش ص ١٥٩.

(٢) راجع: الأوائل ج ١ ص ١٥٩ وقال: إن هنداً هذه قد تزوجت من صيفي بن عائذ، فولدت محمد بن صيفي.

(٣) للإطلاع على الاختلافات المتقدمة راجع المصادر التالية، وقارن بين النصوص فيها: الإصابة ج ٣ ص ٦١١ و٦١٢ ونسب قريش لمصعب الزبير ص ٢٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٠ وأسد الغابة ج ١ ص ١٣/١٢ و٧١ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣١ ونقل عن البلاذري، وغير ذلك.

وتزوجت محمداً يتيماً أبي طالب، فقيراً، لا مال له؟!

فكيف يجوز في نظر أهل الفهم: أن تكون خديجة يتزوجها
أعرابي من تميم، وتمتتع من سادات قريش وأشرفها على ما
وصفناه؟!

ألا يعلم ذوو التمييز والنظر: أنه من أبين المحال، وأفزع
المقال»^(١)

وثالثاً: كيف لم يعيّر لها زعماء قريش، الذين خطبوها فردّتهم،
بزوجها من أعرابي، بوال على عقبيه، لا قيمة له ولا شأن؟! ألم تكن
هذه فرصة سانحة لهم للانتقام لأنفسهم، من امرأة لم تكثرث بهم، ولا
بزعامتهم، ورفضت عروضهم عليها، وتقربهم منها، وتزلفهم إليها؟!

ورابعاً: قال ابن شهر آشوب: «روى أحمد البلاذري، وأبو القاسم
الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في
التلخيص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تزوج بها، وكانت عذراء.
يؤكد ذلك: ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب
كانتا ابنتي هالة أخت خديجة»^(٢)

وقد ذكرنا نحن فيما سبق شواهد أخرى كثيرة على ذلك أيضاً.

(١) الاستغاثة ج ١ ص ٧٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ وعنه في البحار، ورجال المامقاني، وقاموس
الرجال.

تحذير:

ربما يحاول البعض أن يدعي: أن الحارث ابن أبي هالة، الذي يقال: إنه أول شهيد في الإسلام كان ابناً لخديجة من أبي هالة، وذلك يدل على تزوجها «رحمها الله» برجل غير النبي «صلى الله عليه وآله».

ونقول:

١ - لم يثبت لدينا أن الحارث هذا قد كان ابناً لخديجة لأن الظاهر، أن نسبته لخديجة ليس لها ما يثبتها سوى دعواهم أن خديجة قد تزوجت بأبي هالة، وهذا هو أول الكلام، وهو موضع الإشكال.

٢ - دعواهم: أن الحارث هذا هو أول شهيد في الإسلام «والمدعي لذلك هو الشرقي ابن القطامي» يعارضها:

ألف: قول ابن عباس: «فقتل أبو عمار، وأم عمار وهما أول قتيلين قتلًا من المسلمين»^(١).

ب: ما روي بسند صحيح، من أن أول شهيد في الإسلام هو سمية «رحمها الله»^(٢)، وكذا روي عن مجاهد أيضاً^(٣).

ودعوى: أن سمية كانت هي أول من استشهد من النساء،

(١) صفين للمنقري ص ٣٢٥.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٣٥ وطبقات ابن سعد ط ليدن ج ٨ ص ١٩٣.

(٣) الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٣٣١ والأوائل ج ١ ص ٣١٢.

والحارث كان أول من استشهد من الرجال.

ليس لها ما يبررها ما دام أن كلمة «شهيد»، تطلق على الرجل والمرأة على حد سواء، مثل قنيل وجريح، ولأجل ذلك نجد أبا هلال العسكري قد جعل القول: بأن سمية أول شهيد، في مقابل قول الشرقي ابن القطامي في الحارث بن أبي هلاله، فراجع^(١).

(١) الأوائل ج ١ ص ٣١٢.

الفصل السابع:

أحد عشر كوكباً



١٠ - نفي النبي ١ مصاهرة غير علي x:

وثمة دليل آخر على أن أحداً غير علي أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» لم يكن صهراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا عثمان بن عفان، ولا أبو العاص بن الربيع، ولا غيرهما.

وهو ما روي عن أبي الحمراء، قال:

«قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا:

أوتيت صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي.

وأوتيت صديقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلاً [زوجة].

وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني، وأنا منكم»^(١).

فلو كان عثمان أو أبو العاص قد تزوجا بنات رسول الله «صلى

(١) إحقاق الحق (قسم الملحقات) للمرعشي النجفي ج ٥ ص ٧٤ وج ٤ ص ٤٤٤ عن المناقب لعبد الله الشافعي ص ٥٠ (مخطوط) وعن مناقب الكاشي ص ٧٢ (مخطوط أيضاً).

والحديث موجود أيضاً في كتاب نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١١٤. ولا بأس بمراجعة ص ١١٣ ومراجعة مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٠٩.

الله عليه وآله» لم يصح منه «صلى الله عليه وآله» ذلك القول، لا سيما وأن هذا الكلام قد صدر منه «صلى الله عليه وآله» بعد ولادة الحسين «عليهما السلام».

إذن، فلا مجال حتى لدعوى: أن عثمان قد يكون تزوج بإحدى بناته «صلى الله عليه وآله» بعد صدور هذا القول منه «صلى الله عليه وآله».

لأنهم يقولون: أن عثمان قد تزوج أم كتلوم بعد وفاة رقية بقليل، أي في سنة ثلاث^(١).

وربما يمكن أن يؤيد ذلك بما روي عن أبي ذر الغفاري «رحمه الله»، مرفوعاً:

«إن الله تعالى اطلع إلى الأرض إطلاعة من عرشه [بلا كيف ولا زوال] فاختراني، واختار علياً صهراً، وأعطى له فاطمة العذراء البتول، ولم يعط ذلك أحداً من النبيين.

وأعطي الحسن والحسين، ولم يعط أحداً مثلهما.

وأعطي صهراً مثلي.

وأعطي الحوض.

وجعل إليه قسمة الجنة والنار.

(١) راجع: الإصابة ج ٤ ص ٤٨٩، والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤٨٧.

ولم يعط ذلك الملائكة الخ..»^(١).

حيث ذكرت الرواية عدة أمور اختص بها علي «عليه السلام» دون سواه، ولم يعط احد مثلها، وذكر من ضمنها اختيار علي «عليه السلام» صهراً له «صلى الله عليه وآله».

١١ - ابن عمر ماذا يقول؟!:

قال البخاري:

«محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما:

أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: إن الناس صنعوا، وأنت ابن عمر، وصاحب النبي «صلى الله عليه وآله»، فما يمنعك ان تخرج؟!«

فقال: يمنعني: أن الله حرم دم أخي.

فقالا: ألم يقل الله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة؟

فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله.

وزاد عثمان بن صالح، عن ابن وهب، قال: أخبرني فلان، وحيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو المعافري: أن بكير بن عبد الله حدثه، عن نافع: أن رجلاً أتى ابن عمر، فقال:

(١) ينابيع المودة ص ٢٥٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ١٨ عنه.

يا أبا عبد الرحمن، ما حملك على أن تحج عاماً، وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد علمت ما رغب الله فيه؟
 قال: يا ابن أخي، بُني الإسلامُ على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت.
 قال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله. قاتلوهم حتى لا تكون فتنة؟!

قال: فعلنا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان الإسلام قليلاً، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة.
 قال: فما قولك في علي، وعثمان؟!
 قال: أما عثمان، فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه.

وأما علي، فابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وختنه، وأشار بيده، فقال: هذا بيته حيث ترون»^(١).

التوضيح:

إن محل الشاهد هو الفقرة الأخيرة من الرواية، وإنما ذكرناها بطولها ليتضح ما يريد ابن عمر أن يقوله لذلك السائل.

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٦٨ ط سنة ١٣٠٩ هـ.

وقد صرح شراح البخاري بأن السائل رجل خارجي، يريد تسجيل إدانة لعثمان وعلي «عليه السلام» على حد سواء، أي أنه يريد أن يعترف له ابن عمر بأنهما من مثيري الفتن، الذين يجب قتالهم، استناداً إلى نص القرآن الكريم.

وقد حاول ابن عمر أن يدافع عن عثمان، لكنه لم يجد ما يقدمه في هذا السبيل سوى أنه حين فرّ في احد، قد عفا الله عنه، لكن الخارجين عليه لم يعفوا عنه، بل قتلوه.

ولكنه بالنسبة لعلي، الذي حارب عائشة، وطلحة، والزبير، في الجمل. ومعاوية في صفين، ثم خوارج النهروان، قد ذكر أموراً ثلاثة، اعتبرها كافية لدفع ما يريد ذلك السائل إلصاقه به.

وهذه الأمور تشير إلى مزيد قربه «عليه الصلاة والسلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومكانته لديه، واختصاصه به. وهي التالية:

١ - كونه «عليه السلام» ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٢ - كونه صهر النبي «صلى الله عليه وآله» وختنه على ابنته.

٣ - كون بيته في ضمن بيوت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلو كان عثمان أيضاً صهراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لكان المناسب لابن عمر أن يستدل به على السائل، بل كان أنسب من غيره، وذلك للحاجة الماسة إلى كل ما من شأنه أن يظهر قربه من

النبي «صلى الله عليه وآله» ومقامه منه «لو كان» بغية دفع الشبهة عنه، والتي كانت في أمره أقوى منها بالنسبة إلى علي «عليه السلام»، لسبق صدور المخالفة منه، حتى استحق العفو.

فإلى متى يؤجل ابن عمر هذا الاستدلال القوي والحساس، فإنه «كما يقال» لا عطر بعد عروس.

وبما ذكرناه يتضح عدم صحة القول بأن كلام ابن عمر هذا لا يدل على نفي صهرية عثمان، لأن إثبات أمر في مورد لا يدل على نفي ذلك الأمر عن مورد آخر.

فإنه إذا كان ابن عمر في صدد الاستدلال بكل ما من شأنه أن يدفع التهمة عن عثمان، فإن عليه أن يأتي بأظهر الأدلة والشواهد على بطلانها. كما فعل بالنسبة إلى أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

لا أن يهمل الدليل القوي، ويتشبت بأمر آخر أقل ما يقال فيه: إنه ضعيف وسخيف.

ووجه ضعفه وسخافته:

١ - أن العفو عن الفارين يوم أحد قد كان مشروطاً بالتوبة والإنابة منهم. وهذا إنما حصل بالنسبة لخصوص أولئك الذين عادوا بعد معرفتهم بسلامة النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا يشمل الذي عاد من فراره بعد ثلاثة أيام، مثل عثمان.

٢ - إننا لو قبلنا بشمول العفو حتى لمثل عثمان فإنه لا يلزم منه وجوب عفو الناس عن عثمان بعد أحداثه التي ارتكبها في حقهم.

٣ - بل إن عفو الله عنه يوم أحد لمصلحة يعلمها تعالى، مثل التأليف، وتقوية التضامن الإسلامي في مقابل العدو الراصد. لا يلزم عفو تعالى عنه بعدها، إذا كان قد ارتكب ما يوجب العقاب، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالعدوان على الناس، في أبشارهم، وأموالهم، وغير ذلك.

وليس ثمة ما يوجب العفو لا من تأليف ولا غيره.



الفصل الثامن

اللمسات الأخيرة



ربما يكون الحل الأمثل !!:

ومما تقدم كله يتضح: أن رقية التي تزوجها عثمان لم تكن بنت النبي «صلى الله عليه وآله».

فإذا كنا نريد أن نكون أكثر دقة في حكمنا على الروايات التاريخية، فإننا لا بد أن نفترض «على تقدير التسليم بولادة بنات النبي «صلى الله عليه وآله» من خديجة -: أنهن قد متن وهن صغار، ولم يتزوجن من أحد.

فإن كان عثمان قد تزوج بمن اسمها رقية، وبعد موتها تزوج بمن اسمها أم كلثوم فلا بد أن يكنّ لسن بنات النبي «صلى الله عليه وآله». وإن تشابهت الأسماء.

ولعل تشابه الأسماء بين زوجتي عثمان، وبين من ولدن للنبي «صلى الله عليه وآله» بعد البعثة على الأكثر، ومتن وهن صغار، قد أوقع البعض بالاشتباه، أو سوّغ له أن يدعي: أن هاتين البنيتين أعني زوجتي عثمان، هن نفس رقية وأم كلثوم بنات النبي «صلى الله عليه وآله».

وربما أكد هذه الشبهة وقواها كون زوجتي عثمان قد كن ربييتين لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، وقد كان العرب يطلقون

على ربيبة الرجل: إنها ابنته، كما هو معروف، الأمر الذي أفسح المجال لتكريس هذا الاشتباه المعنوي أو العمدي في بداياته على الأقل، لأهداف ومرامي لا تخفى.

صهر رسول الله!:

وإذا كانت رقية وأم كلثوم اللتان تزوجهما عثمان إنما كانتا ربيبتين لرسول الله «صلى الله عليه وآله». ويطلق على ربيبة الرجل: إنها ابنته. فإنه يصح أن يقال لمن يتزوج تلك الربيبة: إنه صهر لذلك الرجل.

ومن هنا يتضح لنا الوجه فيما نسب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، من أنه قد قرّر لعثمان: أن نسبته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكثر من نسبة سلفيه أبي بكر وعمر إليه، حيث قال له فيما روي:

«وقد نلت من صهره ما لم ينال»^(١)

ولكن يبقى البحث حول أن ذلك الصهر على البنيتين الربيبتين، هل قام بواجبه تجاه ذلك الرجل الذي أكرمه بتزوج ربيبتيه له، وتجاه نفس تينك البنيتين، فذلك يحتاج إلى مراجعة حياته وسيرته معهما، وما

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٥ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٦٠ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٦ ط الاستقامة، والجمل ص ١٠٠ عن المدائني والغدير ج ٩ ص ٧٤ عن بعض من تقدم، وعن الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٦٣ وعن البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٨.

جرى له مع النبي «صلى الله عليه وآله» حين وفاتهما، فراجع كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أول الجزء الرابع وآخره، لتقف على بعض ما قيل في ذلك.

سرّ تزويج رقية لعثمان:

وإذا كان عثمان قد تزوج رقية ربيبة النبي «صلى الله عليه وآله» في الإسلام، فإن ما يلفت نظرنا هو أنهم يذكرون أن رقية كانت ذات جمال رائع^(١).

وقد قال البعض: إن عثمان «تعاهد مع أبي بكر: لو زوج مني رقية لأسلمت»، وذلك بعد أن بشرته كاهنة بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

ومعنى ذلك هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد زوج عثمان برقية تألفاً له على الإسلام. وقد روي أنه لما طلب سعد بن معاذ من علي أن يخطب فاطمة قال «عليه السلام» في جملة ما قال: «... وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه، يعني بتألفه، إني لأول من أسلم»^(٣).

(١) راجع: ذخائر العقبى ص ١٦٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ وراجع التبيين في أنساب القرشيين ص ٨٩ وراجع: نور الأبصار ص ٤٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢.

(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٨٦ والمناقب للخوازمي ص ٢٤٣ وثمة مصادر كثيرة ذكرناها في كتابنا الصحيح من سيرة

وقال «عليه السلام» في جواب أسماء بنت عميس، حينما اقترحت عليه الزواج بفاطمة «عليها السلام»:

«مالي صفراء، ولا بيضاء، ولست بمأبور «يعني غير الصحيح في الدين» ولا المتهم في الإسلام»^(١).

فلعل هذا الكلام قد جاء تعريضاً لعثمان الذي زوجه النبي «صلى الله عليه وآله» لكي يجره إلى قبول هذا الدين. وفقاً للنص المتقدم. لا سيما وأن أبا العاص زوج زينب كان لا يزال على شركه حتى عام الحديبية وهو: إنما زوج زينب في الجاهلية^(٢).

وقد تقدم قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: هي لك يا علي لست بدجال.

وقد حاول البزار وابن سعد جل التاء في (لست) مضمومة، قال ابن سعد:

«وذلك أنه كان قد وعد علياً بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر وعمر»^(٣).

ونقول:

النبي الأعظم ج ٤ ص ٢٦ و ٢٧ حين الكلام حول زواج علي بفاطمة عليها السلام.

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٠٧ وراجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٨٦ والنهاية في اللغة ج ١ ص ١٤.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣١/٣٠ وراجع سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢ ط ليدن ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤.

لو صح ذلك لم يكن «صلى الله عليه وآله» قد اعتذر عن تزويجها لأبي بكر وعمر بصغرهما، بل كان اعتذر لهما بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه لعلي «عليه الصلاة والسلام».

منافسون لعلي x:

وبعد ما تقدم، فإننا نسجل هنا النقاط التالية:

١ - ربما يكون إصرار الآخرين على بنوة رقية، وأم كلثوم، وزينب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وإرسال ذلك إرسال المسلمين، ومن دون أي تحقيق أو تمحيص، رغم وجود ما يقتضي الوقوف والتأمل - ربما يكون ذلك - راجعاً إلى الحرص على إيجاد منافسين لعلي «عليه السلام» في فضائله الخارجية.

وذلك نجدهم قد أطلقوا على عثمان لقب: «ذي النورين» مع العلم بأن فاطمة قد كانت أفضل نساء العالمين. ولكنهم لم يمنحوا الذي تزوجها أي لقب لأجل ذلك!!

٢ - إن بعض القرائن تشير إلى أن حياة عثمان الزوجية مع رقية، ومع أم كلثوم أيضاً لم تكن على درجة من السعادة، والانسجام، ولا نريد هنا الدخول في تفاصيل ذلك، فلتراجع المصادر المعدة لذلك^(١).

(١) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو الجزء الرابع وآخره.

٣ - إنه رغم تأكيدهم على أن ابني أبي لهب قد تزوجا هاتين البنيتين: رقية وأم كلثوم. ثم فارقاهما بعد نزول سورة تبت، وبعد إسلامهما، ثم تزوجهما عثمان بعدهما.

إلا إننا نلاحظ: أنه من أجل تسجيل منقبة لعثمان فقد حرص محبوبه على إبقاء هاتين البنيتين باكرتين، فلا يدخل بهما ابني أبي لهب، رغم أهلية البنيتين وأهلية زوجيهما لذلك، وعدم وجود أي مانع أو رادع.

نعم، لا بد من إبقائهما كذلك لينال عثمان الشرف الأوفى في هذا المجال!!

٤ - إنهم يقولون: إنه لما ماتت البنت الثانية - أعني أم كلثوم - قال رسول الله: «لو كنَّ عشرًا لزوجتهن عثمان»^(١).

ونجد في المقابل الرواية المكذوبة التي تقول: إن علياً «عليه السلام» أراد أن يتزوج بنت أبي جهل!! فأغضب النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك. وشهر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنبر. وألمح إلى أنه لو تم هذا الأمر فلا بد لابن أبي طالب من أن يطلق ابنته، وأثنى «بالمناسبة» على صهر أبي العاص بن الربيع^(٢).

(١) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) راجع ذلك كله مع الأدلة القاطعة على كذبه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٤ ص ٥٣ فما بعدها.

٥ - لكننا نستغرب هنا: كيف أغفل الرواة عن تسجيل المدح لعثمان. وما هو وجه اختصاص أبي العاص بن الربيع بذلك؟! إلا أن يكون المقصود هو تشبيه علي «عليه السلام» برجل مشرك، ليكون ذلك أقذع في الهجاء، وأبلغ في التعريض.

عصمنا الله من الزلل، في القول وفي العمل. والحمد لله والصلاة على محمد وآله.





كلمة أخيرة:

وبعد..

فقد اتضح: أن دعوى زواج عثمان، وأبي العاص بن الربيع ببنات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس لها ما يبررها على صعيد البحث العلمي والموضوعي.

وإذا أردنا أن نفرط في إحسان الظن، ونبتعد بهذه القضية عن دائرة الإعلام السياسي الذكي والمدروس، فإننا لا بد أن نفترض «حسبما ألمحنا إليه سابقاً» أنه قد حصل اشتباه من الرواة، بسبب تشابه الأسماء، إذ أن بنات النبي «صلى الله عليه وآله» قد ولدن وفارقن الحياة وهن صغار. هذا بالنسبة إلينا نحن.

أما القارئ الكريم، فله أن يفسر هذا التزوير الإعلامي وفق ما يملكه من معطيات، وحسبما يروق له، ويطمئن إليه.

هذا، وقد حان الوقت لنترك القارئ الكريم الفرصة للتأمل في ما قدمناه له من أدلة وشواهد، مع اعترافنا بأنه قد كان بالإمكان إثراء هذا البحث بالمزيد من المصادر، وإعطائه المزيد من العناية والجهد، ليصبح بذلك أتم، ونفعه أعم.

ولكننا أثرنا الاقتصار على هذا القدر، إيماناً منا بأنه لا ضرورة تدعو إلى ذلك، مادام أن بالإمكان الرجوع إلى كتب التراث، ليجد الباحث المزيد. وقد يطلع على الجديد، الذي يزيد الحقيقة التي قررها هذا البحث وضوحاً، وإشراقاً، ونقاء. ويمنحها رسوخاً وتجذراً وبقاء.

والله نسأل أن يقينا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

وان يهديننا سبيل الحق والرشاد، ويأخذ بأيدينا في طريق الخير والسداد.

إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

١٦ رجب ١٤١٣ هـ بق الموافق ٢٠ دي ١٣٧١ هـ بق - قم المشرفة

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

